ورقـــة بحثيـــة

ليبيا إلى أين في ظل تنازع حكومتين؟

توطئة مهمـــه

هذا البلد الشاسع المطل على المتوسط بساحل يناهز الفين كيلومتر ليقابل أوروبا القارة العجوز التي استهلكت جل مواردها الطبيعية، من ورائه القارة الافريقية الغنية بالموارد الطبيعية، وهو يلامس الساحل الافريقي أو افريقيا جنوب الصحراء، ممر ثالوث الموت "الارهاب، والمخدرات، والهجرة غير الشرعية". هذا البلد المهم جيوستراتيجيا بالنسبة لأوروبا وأصدقائها وحتى لأعدائها.

لقد أصبحت ليبيا دولة شرق متوسطية بعد أن وقعت اتفاقية ترسيم الحدود البحرية مع تركيا، التي تعتبر ليبيا أحد الشركاء الرئيسيين في النظام الإقليمي الناشئ. فقد ذكر رئيس أركان القوات البحرية التركية جهاد ياجي الذي تشكل دراساته مصدراً للسياسات التي يمكن لتركيا أن تنتهجها في مجال مناطق النفوذ البحرية، أن القيمة الإجمالية لاحتياطي الغاز الطبيعي في شرق المتوسط تبلغ 3 ترليون دولار، وأن هذه الكمية تكفي احتياجات أوروبا من الغاز لمدة 30 عاماً. وما يجعل تركيا تعتبر ليبيا قيمة استراتيجية لا يمكن أن تتخلى عنها، هو تعطشها للطاقة خصوصاً أنها تستورد 99% من حاجتها من الغاز و94% من حاجتها من النفط.

فتركيا تعتبر الاتفاقية مع ليبيا اتفاقية تاريخية لأنها تمثل أول صفقة في المنطقة الاقتصادية الخالصة لتركيا مع دولة ساحلية باستثناء قبرص التركية، ويُعتقد أنه سيزيد الجرف القاري لتركيا بنسبة 30%، والأهم فإنه يوفر لتركيا مجموعة من المزايا التي قد تغير قواعد اللعبة شرق المتوسط ولعل أهم هذه المزايا هو إحباط خطط عزل تركيا وزيادة تأثير تركيا على الجغرافيا السياسية لشرق المتوسط. كما جعلت الاتفاقية من تركيا دولة حاضرة في أي حوار قادم يتعلق بحقوقها وبمستقبل ليبيا.

أما بالنسبة لروسيا فقد وضعت عينها على ليبيا منذ زمن بعيد، حيث رأتها كمنطقة نفوذ بالبحر المتوسط في قلب العالم وقلب الصراعات الدولية، فخلال مؤتمر "بوت سدام" الذي عُقد في برلين سنة 1945م خلال الحرب العالمية الثانية حاول "جوزيف ستالين" أخذ الوصاية على إقليم طرابلس في

ليبيا. لكن الولايات المتحدة رفضت هذا الأمر خوفاً من المد الشيوعي في إفريقيا. وبعد الهجوم على السفارة الأمريكية في بنغازي والذي أسفر عن مقتل السفير كريستوفر ستيفنز،

تراجع نشاط واشنطن في ليبيا واستغلته موسكو، وفي عام 2015م تم توقيع اتفاق بين غوزناك الروسية ومحافظ المصرف المركزي المعين من قبل البرلمان "بطبرق" يقضي بطباعة 5 مليار دينار، ثم في يناير 2017م زار خليفة حفتر حاملة طائرات روسية خلال عبورها المياه الإقليمية الليبية في طريق عودتها من سورية إلى روسيا، وبعد هذه الزيارة بشهرين أي في مارس 2017 سجلت وكالة الاستخبارات الأمريكية أول تواجد للقوات الخاصة الروسية في شرق ليبيا بجانب

قوات الفاغنر التي لديها الان ما لا يقل عن 7000 عنصر يدعمون خليفة حفتر حيث انتشارهم من الشرق الي وسط الغرب وامتدادا الي عمق الصحراء على الحدود الجنوبية للدولة الليبية كما أن روسيا من خلال الفاغنر تسيطر على أهم القواعد الجوية شرق وجنوب البلاد (اهم أربع قواعد جوية في وسط وجنوب ليبيا) وكذلك على حقول نفطية هامة من أهمها سيطرتها علي مصادر حقول الغاز في الجنوب الليبي والتي هي مصدر ل 20% من امدادات الطاقة ل أوروبا عن طريق إيطاليا مرور بمصفاة مليته في غرب البلاد

إن جغرافيا الطاقة تعيد صياغة السياسات الاستراتيجية، فأمريكا تسعى جاهده لتقويض الغاز الروسي والإيراني عبر عقد تحالفات على عدة محاور، وتسعى موسكو في ذات الوقت للحفاظ على بقائها مورداً رئيسياً للغاز في أوروبا عبر إعادة صياغة تحالفاتها ومصالحها الاستراتيجية مع القارة العجوز. والحرب الأوكرانية في جزء مهم منها تتعلق بالطاقة "نورد ستريم 2". وفي ظل كل هذه التحديات التي فرضتها البيئة الاستراتيجية، أخفقت النخب السياسية الليبية في صياغة مشروع توافقي يرتكز على مفاهيم ومبادئ تعلي قيم الدولة، وتنهي حالة الانقسام.

تداعيات الوضع الراهن

بعد أن أعاد البرلمان البلد إلى مربع الحكومة والحكومة الموازية، مدفوع برغبة جامحة في البقاء في السلطة، دون أي اعتبار للتهديدات الحقيقية لكيان الدولة وأمنها القومي، وفي ظل تمسك عبد الحميد الدبيبة ببقائه في السلطة، بعد تأجيل الانتخابات الرئاسية إلى أجل غير مسمى التي كان من المقرر أن تجرى في 24 ديسمبر 2021م، التي ترشح لها متخلياً عن تعهده بعدم الترشح بجنيف.

نجد ان السيد فتحي باشاغا فقد وقع في خطأ قاتل تمثل في ذهابه محمولاً إلى ما " يزعم " أنه توافق ليبي ليبي، بعد أن أعتبر خليفة حفتر وعقيلة صالح هم أطرافاً سياسيةً يمكن التحاور معهم والوصول إلى توافق قد يخرج البلد من أزمته. وغاب عنه أن يفتح حواراً وطنياً غرب ليبيا يتبلور عنه مشروع وطني برؤية موحدة، فخسارة الحاضنة الشعبية التي تؤمن بنفس القضية التي تصدى لها القادة الوطنيون والسياسيون، تعني بالضرورة خسارة الركن الركين الذي يرتكز عليه هؤلاء القادة والسياسيون ويستمدون منه قوتهم. ومن ثم يفتح حواراً وطنياً آخر أفقياً مع فاعليات المنطقة الشرقية، ولا يعتمد على التقارب مع الثنائي عقيلة صالح وخليفة حفتر فقط، والذي ظهر في الفترة الأخيرة ابنه بلقاسم كممثل له. فلربما كان من الممكن أن ينجح فتحي باشاغا في خلق توافق حقيقي يمهد لانتخابات تشريعية، فالبيئة الاستراتيجية مواتية للضغط على الأطراف المعرقلة لأي تسوية توافقية قد تفضي إلى انتخابات.

و بعدما تبلور المشروع المصري "المخابرات المصرية" و نتج عنه أول زيارة يقوم بها فتحي باشاغا للرجمة بتاريخ 21-12-2021م و هذا لم يكن التنازل الأول الذي يقدمه فتحي باشاغا لمعسكر خليفة حفتر، فقد أعلن عن تأييده فيما سبق لسيطرة قوات الأخير على الجنوب الليبي الذي كان في 06-02-2019م، و الذي أسس لقاعدة الانطلاق نحو طرابلس في 04-04-2019م. فقد مهدت الزيارة التي قام بها باشاغا للرجمة لقبوله في أوساط شرق ليبيا، و فُهم من هذه الزيارة أن حفتر لازال هو الشخصية القوية التي تسيطر على المشهد و باشاغا لا يعدو كونه أداة من أدواته، و لعل جلوس حفتر على كرسي مرتفع عن باشاغا الذي يجلس بجانبه وبشكل واضح أظهر حقيقة العلاقة بين الرجلين، على الأقل من وجهة نظر خليفة حفتر، ولعله بتصرفه هذا يوصل رسائل لأطراف يراها خليفة حفتر مهمة، بالأخص وأن باشاغا لم يمانع ولم يعلق.

أُختير فتحي باشا غا أخيرا رئيساً لحكومة جديدة في جلسة شابها مخالفات دستورية واضحة وصلت الي مخالفة حتى اللوائح الداخلية لمجلس النواب، نتج عنه رفض شعبي كبير لهذه الخطوة في الغرب الليبي وكان رئيس حكومة الوحدة الوطنية كان من أول الرافضين لهذا التكليف. ام دولياً لم يرحب أحد في البداية باستثناء الخارجية المصرية في بيان مقتضب، كذلك الإعلام الفرنسي الداعم لسياسات إيمانويل ماكرون بدا مرحباً بهذه الخطوة، أما باقي المجتمع الدولي ففضل مراقبة تطورات الأوضاع. وما هي إلا أيام حتى تبلور موقف واضح تمثل في عدم الترحيب بهذه الخطوة من المجتمع الدولي، باستثناء روسيا التي انضمت لركب المرحبين بعد أن اقدمت على اجتياح أوكرانيا، وذلك يُفهم في إطار حساباتها السياسية.

لأنها تعلم جيداً أن مضي باشاغا بعيداً بحكومته دون تنسيق على مستوى عالي مع قيادات مدينة مصراته بشكل خاص وقيادات المنطقة الغربية بشكل عام، من شبه المستحيل.

أما تركيا كان موقفها يميل لدعم رئيس حكومة الوحدة الوطنية عبد الحميد الدبيبة ولم ترى مبرراً لتشكيل حكومة لفترة انتقالية جديدة، رغم أن الرئيس التركي صرح بأنه تربطه علاقة جيدة بالرجلين، باشاغا والدبيبة، ثم شهد هذا الموقف انحيازاً واضحاً لبقاء الدبيبة إلى حين إجراء الانتخابات وعلى قاعدة دستورية.

أما الأمم المتحدة فقد عبرت عن رأيها بدعوتها للأطراف بتجنب العنف ودعتهم للدفع في إجراء الانتخابات بأسرع وقت، ثم جاء البيان المشترك للدول الخمس الداعم لموقف الأمم المتحدة، وفوراً رحب به عبد الحميد الدبيبة ووزيرة الخارجية نجلاء المنقوش وكذلك فتحي باشا غا الذي كانت له قراءة اخري لكل هذه البيانات من المجتمع الدولي

اندلاع الحرب الروسية الأوكرانية التي دخلت يومها العاشر عقّدت وضع خليفة حفتر وداعميه، و للأسف فتحي باشاغا وفريقه زادوا من تعقيد موقفهم بأن قدموا تشكيلة حكومية تحتوي على 38 وزير ووزير دولة ومن أسواء ما يمكن ضمت ثلاثة نواب لرئيس الحكومة وعضوية أكثر من شخصية إما أن يكون عضو بمجلس النواب أو قريب لعضو بمجلس النواب، و هذا زاد من تأليب الشارع على هذا المشروع الذي قُدم على أنه مشروع توافقي ليبي ليبي و دون أي تدخل أجنبي أكيد أن تطور الاوضاع في أوكرانيا سيؤثر على الأزمة الليبية، فإن سيطرت روسيا على أوكرانيا واحتلتها فإن ذلك سيدفع الغرب وبقوة لا خراج الفاغنر من ليبيا، لدوافع جيوستراتيجية تتعلق بأوروبا والناتو، وإذا خسرت روسيا حربها وخرجت دون أن تحقق النتائج التي من أجلها شنت الحرب على جارتها أوكرانيا.

أيضا احتمال بقاء الفاغنر في ليبيا يتضاءل، بسبب إملاءات الغالب على المغلوب. يبقى الخطر يتمثل بتسوية يتخلى فيها الغرب عن ليبيا ويقدمها لروسيا، على أن تخرج روسيا من أوكرانيا، أو أي تسوية أخرى تكون ليبيا ضحيتها.

أوكرانيا بالنسبة لروسيا قضية استراتيجية وأمن قومي أما تواجدها في ليبيا فهو حلم استراتيجي وإدارة مشروع في مواجهة الناتو، يراود الروس منذ زمن طويل. والحرب التي تخوضها الآن ستؤثر نتائجها على البلدين أوكرانيا وليبيا. عكس تركيا فتواجدها في ليبيا هو هدف استراتيجية وقضية امن قومي ام أوكرانيا فتمثل لها قضية إدارة مشروع وملئ فراغ

التحدي الحقيقي لليبيين يتمثل في عدم القدرة على إيجاد او صناعة مشروع وطني حقيقي تنتجه نخبة سياسية واعية يلتف عليه جميع الليبيين.

نـــري ان إجراء الانتخابات في يونيو القادم تواجهه تحديات حقيقية أهمها الدستور، ثم القانون الانتخابي، وفتح منظومة التسجيل من جديد وكل ذلك يستغرق وقت لا يقل عن ثمان أشهر وفق رئيس المفوضية العليا للانتخابات الذي استمراره على رأس المفوضية أصبح أمر مثير للجدل بعد التجربة الانتخابية السابقة والتي لم يكتب لها النجاح ومواقفه خلالها التي أعتبرها كثيرين متحيزة لأحد الاطراف.

السيناريوهات المحتملة

نجد أن الأطراف السياسية والعسكرية والمدنية الضالعة في التأثير في المشهد الليبي أمام عدة خيارات لعل من أهمها

1 – خلق مبادرة برعاية دولية منفردة ينتج عنها تقارب بين عبد الحميد الدبيبة وفتحي باشاغا ينتج عنه حكومة ائتلافية يشترك فيها الطرفين بتدخل من عقلاء مصراته وهي التي أبنائها يتزعمون المشروعين مع تقديم مشروع واضح المعالم للانتخابات بقاعدة دستورية ومشروع حكومة استقرار تمهد لانتخابات تشريعية وإن كان بنسب متفاوته، قد تقوم بجولة من الحوارات والمفاوضات مع جميع الأطراف لصياغة بدائل توفر الحد الأدنى من التوافقات ما يضمن وضع خارطة طريق بجدول زمني للذهاب نحو انتخابات بقاعدة دستورية

2 – الدخول في عمل مسلح ولو محدود بين الأطراف الداعمة والمؤيدة للطرفين تحت مبدأ عض الأصابع ومن يصرخ أولا وهذا لتعنت باشا غا واصراره على استلام اعمال حكومته من داخل العاصمة طرابلس وهذا مرفوض من عبد الحميد الدبيبة ومعه طيف لابأس به من أبناء مصراته عدا المسعرين للحرب والاقتتال وعلي راسهم بعض الشخصيات الجدلية من أبناء المدينة لان هذا الامر سيؤدي الي احتراب مصراتي امصراتي وهذا لم يحدث من قبل بين أبناء المدينة

3 – تخلي البرلمان عن فتحي باشاغا والتواصل مع عبد الحميد الدبيبة عن طريق وسيط دولي (ربما يكون الوسيط التركي لاهتمامه الاستراتيجي بالشرق بسبب اتفاقية ترسيم الحدود) لصياغة تفاهمات جديدة بالذات ان عبد الحميد الدبيبة لديه تواصلا جيدا سابقا مع العديد من قيادات معسكر الشرق

أما المجلس الرئاسي ومجلس الدولة فقدرتهم على انتاج أي حلول أو المشاركة فيها ضعيفة جداً تحديدا المجلس الأعلى بسبب الانقسام الحاصل بين اعضاءه

ملاحظة

الي لحظة كتابة هذه الورقة بداء ظهور بعض المؤشرات الي إمكانية الدخول في اشتباك مسلح **نري** انه سيكون محدودا إذا حدث نتيجة التحشيد العسكري من الطرفين واتخاذ المواقف العدائية والتصريحات المستفزة

8 \ مارس \2022